وينتقد «بيير زيما» بهذا الصدد أيضاً، علم الاجتماع التجريبي الأدبي، لكونه يُنَحِّي جانباً المضمون التاريخي للأدب بحصر اهتمامه فقط في العناصر الخارجة عن الأدب: كالجمهور، والكاتب، والطَّبْعَة، مُدَّعياً أنه بهذا سيتَجَنَّبُ كل تفسير تعسُّفي للأدب[166].

ولا شك أن هذا الناقد يشير إلى علم اجتماع الأدب الذي دعا إليه «روبير إسكاربيت Robert Escarpit» تحت تأثير الفلسفة الوضعية لِـ «أكُوست كُونت»، وعلم الاجتماع التجريبي لِـ «دُوْركَايْم»، وهو علم اجتماعي أدبي يحيط فقط بالظاهرة الأدبية ولا يَقْتَحِمُها[167].

كما ينتقد «بيير زيما» سوسيولوجيا المضامين» التي لا يَهُمُّهَا من العمل الأدبي سوى المحتويات التي تمثل الوظيفة التعيينية (La fonction dénotative)، وهي الوظيفة التي تحيل مباشرة على الأحداث والوقائع التي جرت أو تجري في الواقع العياني. وهذه السوسيولوجيا تتعامل مع الأدب مثلما يتعامل المؤرخ مع الوثائق التاريخية. إنّ هذه السوسيولوجيا تَجْهَلُ - حسب رأي زيما - بأن الخطاب القصصي أو التخييلي بشكل عام يُوَلِّدُ على مستوى الايحاء (Connotation) دلالات جديدة: فاصِلاً بذلك بين الدوال، ومدلولاتها[168].

ويُعارض أيضاً مفهوم «البنية الدالة» عند «غولدمان» باعتباره لا يُحيلُنا على أية نظرية دلالية يمكننا في إطارها أن نضبط الدلالة[169]. ويَعْتَبِرُ أن «كريماس» نفسه كان يعتقد بوجود عمق للنص (Logos) يُسَمِّيه «البنية العميقة» (Structure profonde)، ومعناها يناظر تماماً معنى «البنية الدالة» عند «غولدمان»[170]. ووجهة النظر هذه تطابق النص الأدبي والروائي مع واحد من نظائره الدلالية المرتبطة بسياق معين، وهذا يلغي مسألة «الانزياح» (le décalage) الحاصل بين الدوال، والمدلولات في النص، وهو انزياح يجعل النص دائماً كبنية متعددة الدلالات (Polysémique)[170].

ويؤدي به هذا إلى الحديث عن الانتقادات التي وُجِّهت بشكل عام لسوسيولوجيا الأدب الماركسية من طرف الشكلانية، وهو لا يتبنّى وجهة نظر الشكلانية برمتها، ولكنه يُظهر أهميتها من حيث أنها تولي اهتماماً بالغاً بالبنية الداخلية في النّص الأدبي المدروس، وهنا نراه

---

(166) Ibid., P. 10.

(167) من خلال استعراض مواد فهرسة كتاب روبير اسكاربيت، وهو بعنوان **سوسيولوجيا الأدب**. تتبين طبيعة اهتمام هذه السوسيولوجيا بالأدب. ترجمة أمال انطوان عرموني. عويدات، بيروت - باريس، ط 1، 1978، ص 174 - 175.

(168) P. V. Zima. **Pour une sociologie du texte littéraire.** P. 10 - 11.

(169) Ibid., P. 12.

(170) Ibid., P. 12.